AL-HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTER

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية
الرقم 1، العدد 4، يناير 2021
e-ISSN: 2637-0581
DOI: 10.46722/hkmh.4.1.21l
https://doi.org/10.46722/hkmh.4.1.21l

سلامة موسى ومواقفه من تجديد اللغة العربية: دراسة وصفيّة تحليليّة

An Analytical Descriptive Study of Salamat Musa Views on The Renewal of Arabic Language

إسحاق عبد السلام

Is-haq Salami
International Islamic University Malaysia
Tel: +601139047916 E-mail: salamishaq097@gmail.com

محمد أنور بن أحمد

Muhammad Anwar Bin Ahmad
International Islamic University Malaysia
Tel: +60132822018 E-mail: m_anwar@iium.edu.my

ملخّص البحث

كانت للكاتب المصري سلامة موسى مواقف وأفكار ورؤى في تجديد اللغة العربية، ضَمّنها كتبا ومقالات متعدّدة، وهي من الثورة على الموروث اللغوي بمكانٍ يؤهّلها البحث؛ للكشف عن المواطن التي أصاب فيها الكاتب أو ضلّ عن الصواب. وهذا البحث يستهدف الكشف عن تلك المواقف والأفكار، من خلال التراث الذي خلّفه الكاتب في هذا المجال. وللقيام بهذا تمَّ استواء هذا البحث على ثلاثة عناوين فرعيّة قبلها مقدّمة تُوصِل القرّاء إلى لمحة عامة عن مكنون الموضوع، في آخر الجميع خاتمةٌ تُكلِّل البحث بنتائجه المرغوبة فيه والتي توصّلَ إليها الباحث. وسيعتمد البحث منهجين

أساسيّين، هما: المنهج الوصفيّ لبيان تلك المواقف والأفكار، ووصفها كما صدرت عن الكاتب، والمنهج النقديّ للنظر في مدى موافقتها للصواب، وسبر الأغوار البعيدة من ورائها، والاستعانة بما يراه غير سلامة موسى من علماء اللغة والأدب في القضايا التي رآها محلّ دراسة وبحث لتجديد اللغة العربية. ومن خلال الوصف والنقد، سوف يبدي الباحث الآراء التي ستظهر له. وبذلك كلّه يرى الباحث أنّ موقف سلامة موسى من تجديد اللغة العربيّة موقف له مثالبه التي تزْري بالعربية وأهلها، ومنه أيضا ما هو نفْع محْض يعود على العربية بعائدة خير، كما يوصي الباحث كلَّ من ينتمي إلى العربية إما من ناحية الدراسة أو الولادة أن يواصلوا مهمّة هذا التجديد كي تُجاري العربية مع العصر الذي نعيشه، ولا نألُوا جهدًا من تبرئة العربية من كل طعن ومكر يودّ الغربيّون والعرب المتغرّبون إلحاقها بالعربية في الحال أو المستقبل.

الكلمات المفتاحيّة: سلامة موسى – التجديد – اللغة العربية

Abstract

Salamat Musa is an Egyptian writer with many writings both in book forms and Articles, containing his views and perceptions towards the renewal of Arabic Language. The intriguing nature of those thoughts draw together threads of research in this area. Thus, this study aims to examine those thoughts has found in one of his books. There are three section headings in this research with an introduction in the beginning and a conclusion at the end of it all. Methods used in carrying out this research are mainly two namely, Descriptive method to understand and explain those views as portrayed by the writer. While Critical method was also used to examine the writer's views thoroughly. With these two methods, the writer's ideas concerning the renewal of Arabic language will be dissected. However, this study finally concludes that Salamat Musa views on the renewal of Arabic language has some potential goodness that is capable of propelling Arabic language forward. As there

are many of those thoughts that can bring down Arabic language and debase its people. This research then suggests that all the stakeholders of Arabic language; either the born Arabs or the Arabs by career, they should all prioritize the renewal of Arabic language, so that this language could be relevant with the dictates of our modern age. As there should be a need for all that are concerned with the Arabic language to be more vigilant about all the ploys designed by the Westerners or the westernized Arabs with the intent to truncate the future of this language and ruin its present moment.

Key words: Salamatu Musa – Renewal – Arabic Language

المقدّمة

اللغة هي وسيلة التفاهم والوسيط الأساس الذي ينتفع بها كلّ شعب فيما بينهم، ويسجّل بها حضارتهم – مهما كان نوع هذه الحضارة– قصدًا للثراء والارتقاء. والشعب العربيّ كغيره من شعوب العالم كانت في الأصل أهلَ بداوة تمتُّ حياتهم اليومية بالصحراء والجمل والكلأ، يترتّب على هذا ورود كلمات قويّة في تخاطبهم وتعامُلهم، يتعوّدون عليها ويتوارثونها فيما بينهم كابرًا عن كابر حتى استقرّت هذه الكلمات في عروقهم وتجري فيهم مجرى الدم. ولما حظِيت العرب بالاحتكاك بغيرهم من شعوب العالم، لاسيّما عندما بدأ العرب يتزوّجون من غير العرب ويتصاهرون مع الأجانب فتمّتْ عندهم كلمات دخيلة عُرِّبتْ فيما بعدُ لتُناسب نظام التعبير العربيّ. جاء على إثْر هذا الأمر عاداتٌ وثقافات ليس في العربية ولا عند العرب من قبيل ولا دبير؛ تعلّموا ثقافات غيرهم وتمكّنوا من ترجمة حضارات العجم. كانوا على هذه الحالة حتى رأى بعضهم حاجة السفر إلى بلاد الغرب للتثقيف العلميّ، وهم في مهجَرهم كانوا يطّلعون كثيرا في كتب المفكّرين والعقلانيّين وتأثّرَ بعضهم تأثّرًا إيجابيًّا يرغبون في تغيير فكرهم وأوضاعهم على سبيل الحذر؛ يأخذون معهم كلّ ما حسُن ويتركون ما يُزرِي بكونهم عربًا. وبعضم الآخَرون متحمّسون بفرْطٍ لما

رأوا عند الغربيّين وتَسلّموا لجميع ما عندهم، ولا يكادون يميّزون بل آمنوا بها إيمانًا جازما يعتقدون على جعْل بيئتهم غربًا من جميع النواحي سياسةً وثقافة وخطابة ومَنْكحة ومشربًا ومأكلًا، حتى استخفّوا بلغتهم العربية وفضّلوا عليها اللغات المتواجدة عند الغرب.

والدعوة إلى تجديد وتطوير اللغة العربية أمر قديم وضروريّ. قُدْمته ترجع إلى محاولات الخليل وسيبويه التي انصبّت على استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس ووضْع قواعد العربية في صورة كتاب مؤلَّف. وعندما استعصى هذه الجهود على أفهام الدارسين حتى شكوا من صعوبة النحو ووفرة الخصومة بين الشعراء والنحاة اتّجه أمثال خلف الأحمر وابن جنيّ إلى جانب التطبيق والتعليم والاختصار. ثم بعد هذا محاولة ابن مضاء القرطبي فوضَع نموذجًا جديدا بناءً على بعض أصول ومبادئ فكريّة تُغنِي الدارس في فهم العربية وتفتح عقله. وأتى على إثْر هذه المحاولات حركة الإصلاح من ناحية رفاعة الطهطاوي لتبرِئة العربية من العبارات المعقّدة، وَرَد من هذا المجهود عناوين كتب متعدّدة. وتلك المحاولات السالفة إنما هي بمثابة الحجر الأساسيّ لبناء حركة تجديد العربية في العصر الحاضر. ونظرًا للحالة الاقتصادية والسياسية التي نعيشها اليوم باختلاف وضْعها تماما عن وضْع الاقتصاد في قديم الزمان، حين تكون وجوه المعاش فطريّةً وطبيعيّة بحرث الأرض والترحال، والتنقّل بين الصحراء بالجمل الذي ينبني بالكلية على الزراعة ورعْي الأغنام بين الصحراوات، فإننا الآن في مساس حاجة إلى كلمات وعبارات تواكب رَكْبَ العصرنة التي نعيشها، ولا علينا من حرج أن نضرب صفحًا عن أساليب التعبير التي اعتنقها الناس في ذلك الوقت، ونطوي كشحًا عن الكلمات التي تفوح بدواةً وتمتلئ بعبارات أهل الريف، إلى كلمات العصرنة التي تناسِب الحالة الاقتصادية في العصر

الحديث الذي يتقدّم فيه التكنولوجيا تقدّمًا هائلًا، وتنصرف العرب من المنتجات الزراعيّة إلى التجارة السلعيّة المتعدّدة الأطراف كالاتّصالات والسياحة والخدمات المصرفيّة. تناقش هذه الدراسة مواقف سلامة موسى من تجديد اللغة العربية بكونه واحدا من أعلام النهضة الفكريّة العربيّة، من خلال الأفكار المبثوثة في ثنايا كتابه الموسوم بـ "البلاغة العصريّة واللغة العربية. وتنتظم أفكار هذه الدراسة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: سلامة موسى في سطور التاريخ

ولد سلامة موسى قي قرية الزقازيق عام 1887م لأبوين مسيحيّين. وترَكت عائلته الزقازيقَ فيما بعدُ إلى مدينة أسيوط لأنّها بلدة جديدة لا يرجع تاريخها إلى ثمانين عاما. (Salamat, 1974) كان والده يعمل مع الحكومة وتوفّي بعد ميلاده بعامين 1889، أما أمّه فقد بقِيتْ تحت البرقع لحين من الدهر قبل أن تتركه من أثر البروتستنتيّة. في مصر وقتئذ، فتوفّيت في عام 1916م. (Salamat, 1974) ولقد عانى كثيرا من النقص الاجتماعيّ بعد موت والديه "فقد كانت تمضي عليّ السنة أو السنتان لا أعرف فيها القعود على القهوة، كما أنّي إلى الآن أجهل ألعاب الحظّ الاجتماعيّة البسيطة بالورق أو بغيره مما يتسلّى به غيري".(Salamat, 1974) بدأ دراسته الأوّلية في كتّابٍ حيث قضى سنين وهو لا يكاد يفهم شيئا إلا بعض الصلوات المسيحيّة التي حفِظها وبعض سور من القرآن، ثم انتقل منه إلى مدرسة نظاميّة أنشأتها جمعيّة خيريّة من الأقباط "وشرعنا نتعلّم وندرس بجدّ، ثم ظهرت المدرسة الأميريّة فدخلناها عام 1899" (Salamat, 1974) ثم التحق بالمدرسة المصرية الابتدائيّة الثانوية عام 1900م "وحصلت على الشهادة الابتدائية في سنة

1903م(Salamat, 1974) ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة حيث الْتحق بالمدرسة التوفيقيّة العسكريّة، وما لبِث أن انطلق إلى المدرسة الخديويّة حتى حصل على شهادة البكلوريس. وكان متابعا لمجلّة المقتطف التي كان يصدرها يعقوب صرّوف وهو ما مكّنه من الاطّلاع على الفكر والأدب الغربيَّين. (Editorial body, 2020) وفي عام 1906م بدأت ملامح جديدة في شخصيته، وكما يقول هو: "بدأتُ أرْسمُ خارطة حياتي سنة 1906م حيث ساء الوسط العائليّ، ففررت إلى أوربا، وهناك شرعت أدرس اللغتين الفرنسية والإنجليزية وأقرأ من الكتب ما يشع النور في عقلي ويبعث الشجاعة في قلبي". سافر سلامة موسى إلى فرنسا عام 1908 بسبب مشاكل عائليّة، ناويًا بهذا السفر حياة طيّبةً لنفسه. وفي باريس تقرَّى بالريف بسبب نشأته في وسطٍ ريفيّ بمصر. وهناك حبَسَ نفسَه في مدرسة ابتدائيّة تُدعى موليرى ليتعلّم اللغة الفرنسيّة بإلحاح ومثابرة، ولم تمضِ أشهر حتى استوى على سوقه ليقرأ الجرائد الفرنسيّة بل والكتاب بفهم وتعقُّل، وصار مشغوفا بقراءة الأومانيتية التي كانت تعبّر عن آراء الاشتراكيّين. (Salamat, 1974) وعقب عودته من فرنسا سافَر إلى لندن عام 1909 في باخرة قادمة من الهند ليمارس فيها اللغة الإنجليزيّة التي اكتسبها من خلال قراءاته الواسعة. بقي في لندن أربع سنوات ليقف على معارف اتّجاهات العالم المتمدّن. ثم الْتحق فيما بعدُ بـ "لنكولنزهي" أشبه بهيئة نقابيّة للمحامين في لندن. ووجوده في لندن أنشأت فيه الثقافةَ الواسعة لِما قد دأبَ في دراسة العلوم التي تدور حول التطوّر أو الاقتصاد أو السيكولوجية. وقرأ ما لا يقلّ عن أربعين أو خمسين كتابًا عن حضارة الفراعنة. (Salamat, 1974) أصدر سنة 1912 صحيفةً أسبوعيّة في رفقة المؤرّخ محمد عبد الله عنان وشبلي شميل، عنوانها "المستقبل". فقد ترأس مجلة الهلال من سنة 1923 حتى سنة 1929، وأنشأ "المجلة

الجديدة"، وأسس المجمع المصري للثقافة العلمية سنة 1930. ولكن السلطات المصرية سارعت بإغلاقه، وهو ما دعاه إلى بعث جمعيّة "المصريّ للمصريّ" ودعا من خلالها إلى مقاطعة البضائع الإنجليزية نسْجًا على منوال تجربة غاندي في الهند. (Editorial body, 2020)

تركَ سلامة موسى مؤلّفات كثيرة في شتّى الاتّجاهات الكتابيّة وساعده على ذلك أنّه وَلج مجالَ الكتابة وهو في العشرين من عمره، كما أنّ إجادته للغات الأجنبيّة خاصّة الإنجليزيّة والفرنسيّة أتاحت له الاطّلاع على معارف متنوّعة وثقافات مختلفة. وقد أصدر حوالي أربعين كتابا منها مقدمة السوبرمان، والاشتراكية، وحريّة العقل في مصر، وتربية سلامة موسى، والبلاغة العصرية واللغة العربية، والأدب للشعب، وأشهر الخطب ومشاهير الخطباء، وافتحوا لها الباب، وهؤلاء علّموني وهكذا، كما أصدر عددًا من المجلّات وكتَب الكثير من المقالات. (Iman, 2019)

كان للآراء الصادمة التي أعلنها سلامة موسى وأصرّ عليها أثرها في تعرّضه لانتقادات واسعة واتخاذ الكثيرين موقفًا معاديًا منه. فقد وصفه الأديب مصطفى صادق الرافعي بأنّه مُعاد للإسلام، وكان الأديب عبّاس محمود العقّاد مِن أشدّ منتقديه. فبعدما نشَر سلامة موسى كتابَه "البلاغة العصريّة واللغة العربية" أكّد أنّه غير عربيّ، ثم قال عنه: إنه الكاتب الذي يكتب ليحقد ويحقد ليكتب، ويدين بالمذاهب ليربح منها ولا يتكلّف لها الكلفة في العمل أو في المال. ثم قال: إنّ العلماء يحسبونه على الأدباء، والأدباء يحسبونه على العلماء، لهذا فهو المنبت الذي لا علمًا قطَع ولا أدبًا أبقى. كما هاجمتْه

"مجلّة الرسالة" الأدبيّة الشهيرة ووصفتْه بأنه الكاتب الذي يجيد اللاتينيّة أكثر من العربية وهاجمه آخَرون بأنه صفحة يجب أنْ تُطْوَى من تاريخنا الثقافيّ. (Mustafa, n.d)

أما حياته العائليّة فقد تزوّج في عام 1923م بعد موت أمّه بسبع سنوات من فتاة قبطيّة متوسّطة الحال. ورُزِق منها خمس بنات وولدان. (Salamat, 1974) ورحل عن عالمنا الفاني في 4 أغسطس عام 1958 بعد إصابته بمرض في القلب. (Mojid, 2014)

المبحث الثاني: عوامل ساهمت في تشكيل مواقف سلامة موسى من تجديد اللغة العربية:

كان سلامة موسى من روّاد التجديد في العالم العربيّ عامة وفي مصر خاصة، وأعانه على هذا الأمر بعض أشياء، والتي هي كالمحرّكات أو الدوافع أدّتْ به إلى التجديد أو التطوير في فسحة اللغة العربية؛ منها ما كان واضحًا في نفس البلد الذي وُلد فيه سلامة موسى، ومنها ما تسرّبتْ إليه وقْتَ تجوابه في بلدان الغرب. وبالتالي ذكْر هذه العوامل:

كون سلامة موسى مسيحيًّا ونشأته بالريف

المسيحيون لا يكادون يرتضون بالمسلمين ولا لغتهم العربية منذ اللحظة الأولى منذ أن قضى الله أن يكون الإسلام خيرَ أديان العالم، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (سورة البقرة: 120) حتى إنّهم كانوا يشنّون حربًا مريرة على العربية من خلال محاولة تحريف كلمات القرآن عن مواضعها كما

ورد في القرآن، وهم لايزالون حتى هذه اللحظة الحاضرة يمكرون باستخدام كلّ الأسلحة والوسائل في تقبيح وجه العربية في كلّ شبر على وجه الأرض ويسرحون فسحةَ المجالات الفكرية باسم التحرير والعقلانية والتنوير. وعلى هذا الأساس ندرك أنّ كون سلامة موسى مسيحيًّا جعله يغدر بالعربية حتى يتقدّم ويحاول في تجديد هذه اللغة الأصيلة فيجعلَها لغةً مبتذلةً؛ تجرّدت من الروع والذوق المتميّز، ويرى بهذا فراغًا للتلاعب والتجرّؤ على الدين. وفي وادٍ آخَر، فإنّ نشأة سلامة موسى في الريف حيث المساحات الخضراء والهواء الطلق فرصة كبيرة في تقوية مهارات واكتسابه المعارف والتجارب العلميّة التي أعانه في إيجاد مواقف من تجديد اللغة العربية، وهذا قوله: "بالنسبة لِما تعلّمتُه عفوًا في الريف من اختبارات في الحياة، أجد أنّ الريف قد علّمني وأكسبني من المعارف الذهبيّة والروحيّة ما يعدّ تربية حقّة مازلتُ أنتفع بها إلى الآن. (Salamat, 1974)

أحوال بعض مدرّسي العربيّة في كتاتيب مصر

هناك في أرياف مصر في القرن التاسع عشر مدرّسو العربية؛ يلقّنون الصغار مبادئ اللغة العربية، ولكنْ في سبيلٍ يجعل هذه اللغةَ شيئا مكروهًا إلى الطلبة بسبب سوء التعامل من أولئك المدرّسين؛ يعذّبون تلاميذهم لأقلّ سبب مما لا وجود له في ثبْت الميزان، ولا تكاد تجد الألفة التي تجمع الناس بعضهم ببعض ولا العِشرة الحسنة التي تُبْنى عليها العلاقة الزوجيّة، لا تكاد تجد هذا ولا ذاك بين المدرّسين والطلبة. هذا مما بعثَ روح تجديد اللغة العربية في نفس سلامة موسى منذ ذلك الحين الذي هو لا يزال في عنفوان عمره. وبهذا الحدث الذي غبر في الزمن ينظر سلامة موسى إلى اللغة العربية بعين استخفاف واستهانة، وأنّها تحتاج إلى التجديد والتطوير. (Salamat, 1974)

تأثّره بالأفكار الغربيّة

إنّ ممّا ساعَد سلامة موسى وساهمَ في تشكيل مواقفه من تجديد العربيّة هو الأفكار الغربيّة التي اكتسبها من خلاله تجوابه في أراضي الغربيّين؛ ناويًا الحصول على الثقافة العصرية بأية وسيلة متاحة. لقد تأثّر سلامة موسى بأفكار بعض الغربيّين أمثال دارون، وهنريك إبسن وبرناردشو الذي تأثّر به كثيرا مما سواه، وكارل ماركس الذي قال عنه سلامة موسى "وأحبّ أن أعترف أنّه ليس في العالم من تأثّرتُ به وتربّيت عليه مثل كارل ماركس، وكنتُ أتفادى اسمه خشية الاتّهام بالشيوعيّة" كما تأثّر بمجموعة من الأفكار التي كانت سائدة في أوروبا في ذلك الوقت، ومن ذلك الفكر الاشتراكيّ خاصة كالجمعية الفابية. (18) "وتعرّفتُ على المنظّمات والجمعيّات النسويّة التي كانت في لندن تطالب بحقوق الانتخاب والنيابة وامتلأ قلبي وذهني نورا وتفاؤلا بالمستقبل. (Salamat, 1974) كلّ هذا وذاك جعل سلامة موسى مناهضا يستتبع وراء بعض أفكار منها: "إنّي أؤمن بالحقائق، ومن هنا تعلّقي بالحقائق. "وإذا كان لا بدّ من عقيدة، فإنّي أؤمن بها عندما تكون ثمرة الحقائق العلميّة، فإنّي أعتقد مثلا بالمستقبل الاشتراكي للعالَم كما لمصر، وأعمل له لأنّ الاقتصاديّات العصريّة تومئ بذلك. "وقد وصلت في تثقيف ذهنيّ إلى أقصى ما يطمح إليه رجل في سنّي، ومع أنّه لايزال في نفسي اختمارات سوف تنفجر في المستقبل، فإنّ أهدافي الآن عديدة؛ وهي إحالة مصر من قطْر شرقيّ ضعيف يحيا على التقاليد في أساليب الزراعة والعيش، إلى قطر أوروبيّ يحيا على العلم والصناعة واستقلال الشخصيّة". (Simau, 2015)

تأثّره بدعاة التغريب العرب

ممّا يُلاحَظ في سلامة موسى أنّه لازَم وشارك مع بعض روّاد النهضة العربيّة، الذين وطِئتْ أقدامهم بلاد مصر حاملين معهم لواء الإصلاح والتنوير في جميع المجالات. وهؤلاء تركوا في حياته بصمةً قويّة حتى إنّه أصدر مجلة مع بعض، ودأبَ على قراءة مجلّة بعضهم حتى صار متيّمًا بمتابعته، وهم شبلي شميل، وفارس نمر ثم يعقوب صرّوف الذي قال عنه سلامة موسى: عرفتُ "المقتطف" في عام 1903م وكان اهتدائي إليه من المصادفات البديعة التي أعانتني على التثقيف الذاتيّ وكنت أشتري الأعداد القديمة بل أحيانا الأعداد الجديدة من الإدارة على غلاء ثمنها وألْتهِمها من الغلاف إلى الغلاف، إنّي أعزو إلى المقتطف هذه النزعة العلميّة التي لازمتْني طوالَ حياتي الماضية، كما أعزو إليه هذا "الأسلوب التلغرافيّ" الذي أكتب به والذي يظنّ كثيرون أنّه من اختراعي". (Wajabat, 2020)

اطّلاعه الواسع في كتبٍ غير عربيّة

مما حظي به سلامة موسى هو سعة اطّلاعه في الكتب وجهده الدؤوب في القراءة، حتى هو قد عانى الْعَنَتَ عند زوجته لفرْط قراءاته التي لا تسمح له بالعناية البالغة للعيال. ولكن مع الأسف أنّ معظم قراءاته تلك كانت في كتب مكتوبة بغير العربية، وأدّى به هذا الأمر إلى التعصّب للغات التي قرأ بها كثيرا؛ تاركًا العربية في هوّةٍ، يقبّحها قولا وفعلا يقف منها موقفًا سلبيًّا ويراها لغة التخلّف تستحقّ للحياة الماضية ولا تناسب الحياة العصريّة الحاليّة، كما يرى الأدبَ العربيّ أدب السلطة والتقاليد والعقائد. وفضْل اللغة الفرنسيّة على سلامة موسى جعله أوروبيَّ التفكير والنزعة. وهذا قوله: "أنا رجل مشغوف بالعلم مقدَّرٌ له منذ شبابي. ومع ذلك أعترف أنّ جميع قراءاتي أو دراساتي كانت في

الأنثروبولوجيّة والجيولوجيّة والتطوّر والسيوكولوجيّة وغيرها، كلّها بلا استثناء باللغة الإنجليزيّة والفرنسيّة، ولم أعثر قطٌّ في الخمسين سنة الماضية على كتاب واحد؛ واحد فقط باللغة العربية في هذه العلوم". (Salamat, 1974)

المبحث الثالث: تجديد اللغة العربية بين كونه إجباريا واختياريا

العربيّة لغة عريقة ثابتة خالدة لا تتقيّد بزمان ولا مكان. أزليّتها ترجع إلى كونها أداة التفاهم والتحاور في العصر الجاهليّ قبل مجيء الإسلام كدينٍ يدخل الناس فيه أفواجا في الجزيرة العربية. بها تُكتَب الأشعار الناصعة ألفاظها الناطقة عن الظروف المحيطة بالناس، كما يُستعان بها في وضْع خُطب دقيقة المعنى ووصايا تُنبئ عما يجول في ضمير أصحابها وقتئذ، وهذا قول الجاحظ: "فكلّ أمّة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرْب من الضروب وشكل من الأشكال. وكانت العرب في جاهليّتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفّى وكان ذلك هو ديوانها". (khalif, 1982) ولما جاء الإسلام واستوى على سوقه عند معظم القبائل وصار منتشرا في ربوع الأرض، راعى أسلوب الناس في التعبير كما لاحَظ مصطلحاتهم المألوفة بينهم بسبب بداوتهم وعدم احتكاكهم بأمم العالم في ذلك الوقت؛ هذّب كثيرًا منها مما كانت خشنةً في التلفّظ جافيةً في المعنى وما فيها عثرةٌ في الأسلوب، واستبدل بها غيرَها مما تشوق الأذن إلى سماعها وتصحّ الأعضاء من التلذّذ بها، فنرى ألفاظًا سلسةً عذبةً تتبدّى في أساليب بيانيّة رائعة سالمةً من التعقيد والنفور. وتبقى اللغة مجرّدةً من قيد الزمان والمكان لتُناسب واقع الحضارة الإسلاميّة المتجدّدة من خلال الاعتبار بالماضي. كما نرى معالم التجديد في العصر الإسلاميّ كذلك نرى تطوير اللغة العربية في العصور اللاحقة به

لأجل مواكبة العصر الذي عاش فيه الناس. وفي العصر الأمويّ نرى أنّ العربيّة تطوّرت وتجدّدت لتحمل في طيّ سجلّها كلماتٍ تتماشى مع ظروف العيش التي سادت في تلك الفترة. "فالنقائض الأمويّة فهي تعدّ فنًّا سياسيًّا وأدبيًّا جديدا، وقد نشأ نتيجةَ الحاجة إليه في المجال السياسيّ والأدبيّ" (khafajy, 1980) فالغزل العذريّ أيضا انتشرت أساليبه في هذا العصر "فحُوِّلَتْ عن صورته الجاهليّة القديمة إلى صورة جديدة تتّضح فيها التأثيرات الحضاريّة المختلفة. (Muhammad, 1963) وفي العصر العبّاسيّ لم تنغلق العربيّة على نفسها؛ بل امتدّت إلى ميادين العلوم المختلفة، وتواصَل الأمر إلى الاهتمام بالتأليف والترجمة والنقل من اللغات الأخرى. "والحقيقة أنّ العرب عند اختلاطهم بالأقوام الأخرى لم يفطنوا بادئ ذي بدء إلى أهميّة التقعيد ووضْع ضوابط تحمي لغتَهم في الوضع الاجتماعيّ والسياسيّ الجديد. ولكنْ ما إن انتقلت حاضرة الدولة إلى الشام والعراق، حتى بدأت العربيّة تأخذ شكلًا يوائم الحال الجديدة، إذ نجحت العربية في استيعاب كثيرٍ من المفردات سواء من اللغات الشقيقة او من اللغات الأجنبيّة الأخرى. ولعلّ أوّل خطوة في تحرير العربيّة ونقْلها إلى النطاق الرسميّ كانت تعريبَ الدواوين والنقد في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة 760". (Aliy, 2017) فقولنا بأنّ العربيّة خالدة يرجع إلى تعلُّقها بالقرآن الذي رفع بشأنها في ربوع العالم عند كلّ من يتديّن بالإسلام، "بنزول القرآن ودخول الناس في دين الله أفواجا من شتّى بقاع الأرض؛ اتّجه المسلمون من غير العرب إلى تعلّم العربيّة؛ رغبةً في أداء العبادات والشعائر الدينيّة بها وقراءة القرآن بالعربيّة؛ لأنّ قراءة القرآن الكريم تعبّدا لله تعالى؛ لذا فقد انتشرت اللغة العربية انتشارا ما كان ليتحقّق بها بدون القرآن الكريم. (Muhammad, 2019)

وبكلّ ما سلف من البيانات ندرك على أنّ تجديد اللغة العربيّة شيء ضروريّ وإجباريّ يُلزمه سمة التاريخيّة التي تتوفّر في خلقتها؛ وأنّها وليدة النظام الاجتماعيّ بين الناس والذي يتغيّر مع اختلاف الليل والنهار "وضرورة التاريخ تقوم على أنّه يقوم للإنسان والجماعة البشريّة بوظيفة فعليّة؛ بمعنى أنّه يسدّ حاجة المجتمع إلى معرفة نفسه ورغبته في أن يفهم علاقته بالماضي وعلاقته بالمجتمعات الأخرى وثقافتها" (Husein, 2018) فلنفهم أيضا أنّ التجديد من نعم الله على عباده وهو من طبيعة البشر؛ فالحياة نفسها تتغيّر بشكل متصاعد باختلاف وتناوب كلّ ما فيها من ليل ونهار إذ يتعاقبان؛ يأتي واحد ويذهب آخر، بما فيهما من شمس وقمر مع اختلاف درجة الحرارة ونسبة الضوء، ليتحقّق الصلاح الذي من أجله خُلِق بنو البشر. وعندما تخلو اللغة من التجديد وهذا سلْب الحياة الإنسانيّة من جوهرها ويسيطر الجمود والعجز على تفكير الإنسان وتنطفئ جذوة الفاعليّة، ولا تكاد تجد المصالح المتجدّدة بسبب غياب أمر التجديد. فتجديد اللغة يمنحها مرونةً وخصوبةً لمواجهة متطلّبات كلّ عصر. وإنّ نظرة الإسلام إلى التجديد ممّا يجعله إجباريًّا "وقد حفل القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة بكثير من النصوص التي تكشف عن الارتباط الفكريّ والعمليّ بين الفطرة البشريّة واستجابتها وتكيُّفها لمتغيّرات الزمان والمكان، وحاجتها إلى التجديد في طرق إعمال العقل وتوظيف الوسائل والأدوات المتغيّرات والفضاءات المعرفيّة المتّسعة" (29) فكون اللغة مكتسبةً مما يجعل تجديدها إجباريًّا، والذي بدونه قد يقع على العقل تكبيل وتعطيل وعلى الإرادة منا محاصرة وإهدار. "إنّ اللغة نشأت نتيجة قيام الإنسان بإحداث بعض التعبيرات الصوتيّة التي كانت تصاحب إشاراته وحركاته المعبّرة عن حاجاته إذ كان يحرّك أثناء ذلك لسانه وفكّيه لاشعوريًّا، ثم تطوّرت هذه التعبيرات فكفّت يداه عن الحركة وحلّ اللسان

والشفتان مكانَ اليدين في وظيفتهما التعبيريّة"(Faaris), 2005,) واكتساب اللغة يبدأ من لحظة الولادة عن طريق غير ملفوظ إلى ساعة الممات، لا ينقطع عنه الإنسان مادام حيًّا لحاجته إلى الاندماج مع الآخَرين، والذي يبعثه على التعبير السليم لمقتضى الحال التي هو فيها "اكتساب اللغة مميّزة للإنسان في تسهيل تواصله مع الآخَرين في جميع أوجه الحياة المختلفة التي تسوق فيها كلّ اللغات البشريّة لأصلها الواحد التي يعكس البنية الفطريّة المحدودة. وإنّ تعلّم اللغة وتعلّمها من الأمور المهمّة التي لا تقتصر على المجتمع المدرسيّ المحدود، وقد يكون اكتساب المهارات اللغويّة ذات المستويات المتديّنة وانتشار البيئة المغمورة بالتشوّهات والأغلاط اللغوية. (Haasim, 2013) وإذا نظرْنا إلى أمر تجديد اللغة العربية كشيء اختياريّ؛ نأخذ به إن شئنا ونهمله إن لم نشأ، فإنّنا بهذا الفهم القاصر نفتح بابه واسعًا على مصراعيه للذين لا علم لهم به، أو يفقدون التصوّر عنه أو الذين يتولّونه بسوء الطويّة وقبح النية، وصار عامّا يدخل فيه من لا يحسنه ويستخدمه مِعْولًا للنيل من الدين. فـ "إن أعداء الإسلام يحاربون اللغة العربية لأنّهم يعلمون تماما أنّها الوسيلة الوحيدة لفهم العلوم الإسلاميّة فهمًا صحيحا، وأنّها وعاء حضارة الأمّة الإسلاميّة وتاريخها وأنّها من عوامل وحدتهم. وأعداء الإسلام يدركون أنّ المسلمين إذا أهملوا فهم اللغة العربية فقدوا فهْم الإسلام بشكلٍ صحيح، وإذا فقدوا فهْم الإسلام ضاعت أمّتهم وكيانهم وحضارتهم وعزّتهم وكرامتهم، ثم فقدوا أنفسهم وبلادهم وأصبحوا تابعين مقهورين. وهذا مع الأسف ما يرغبه أعداء الإسلام ويعملون من أجله في كلّ زمان، وبكلّ الوسائل والأساليب في مناهج التعليم التي وضعوها في البلاد الإسلاميّة ليضلّوا بها، أو في البرامج الإعلاميّة والدعائيّة المختلفة التي يحرّفونهم بها، بل وفي الكتب والمؤلّفات والأطروحات الدراسيّة التي يصدرها بعض أبناء المسلمين في رسائلهم

الجامعيّة وأبحاثهم التاريخيّة والاجتماعيّة؛ والتي يعدّونها تحت إشراف أساتذة غير مسلمين ولا يضمرون الخير للإسلام والمسلمين ولا اللغة العربية والحضارة الإسلامية، بل يضمرون العداوة للإسلام ولحضارته ولتاريخه ويشكّكون أبناء المسلمين في قدرة اللغة العربية على مواكبة الحياة واستيعاب علم العصر والتفاعل مع مستجدّات تقدم البشريّة". (Muhammad, 2015)

المبحث الرابع: النظرة التحليليّة لمواقف سلامة موسى من تجديد اللغة العربية

مواقف سلامة موسى وإن تعدّدت أشكالها واختلفت أضربها فهي برمّتها خطّة إلى هدم اللغة العربية تحت ستار مصطلح التجديد والتنوير للنهضة العربية، إلا نزْرٌ يسير منها والذي يتلاءم مع النهضة العربيّة على الوجه الصريح. وفي هذا المبحث ننظر إلى مواقفه تلك نظرةَ تمحيص وتفحيص، وذلك بدراسة الأفكار المبثوثة في ثنايا كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية". ومبدئيًّا، فإنّ عنوان ذلك الكتاب اسم على غير مسمًّى؛ لأنّ القارئ الذي يسمع عن ذلك الكتاب في أولى مرّاته قد يتمنّى أن يستفيد من قراءته، حتى إذا أخذه بكلّ انهماك وجديّة لم يكد يجده شيئا، إذ هو خاوٍ وخالٍ تماما من المعلومات القيّمة، ووجد وقتَه ضائعًا في سلّة الخزعبلات. فمن المغالطة أن يسمّي الكاتب كتابه بهذا الاسم، وليس فيه تجديد للعربية ولا تطوير أساليب التعبير بها، سوى الدعوة إلى أن تجاري العربية عصرنا الحالي وتماشي حياتنا، وهذا ليس بجديد فقد كانت "البلاغة العربية علمًا احترق حتى نضج، وأن لا سبيل إلى تجديد أفانين هذا العلم الذي أشبع درسًا وتحليلا عند العلماء البلاغيّين المتقدّمين، ممن لم يتركوا لا صغيرة ولا كبيرة ولا شاردة ولا واردة في هذا العلم، إلا وحاولوا الوقوف عندها واستقصاء كلّ جوانبها كما

فعل الجرجاني في أسراره ودلائله، وكما فعل السكاكي في مفتاح العلوم حينما حاول تقنين علوم البلاغة ببُعدٍ مدْرسيّ تعليميّ. (Aliy, 2020)

وهذه هي مواقفه من تجديد اللغة العربية كما نصّت عليها أفكاره في كتابه السالف الذكر؛ البلاغة العصريّة واللغة العربية، وبعد كلّ موقف من مواقفه ذكرُ الصفحة كما ورد في متن الكتاب:

استبدال الفصحى بالعامية: لا يخفى على من له بصيرةٌ مكانةُ الفصحى وأهميّتها في الجزيرة العربية والأمة الإسلامية عامة، ولكنّ هذا يغيظ أعداء الإسلام فيحاولون بالقضاء على العربية الفصحى. "إنّ الدعوة إلى العامية ليست فكرةً حديثة ولا حركةً جديدة، بل كانت منذ القرن السابع/ الثالث عشر الهجريّ بدوافع دينيّة وسياسيّة، وبقيت حاضرةً منذ ذلك التاريخ تظهر صداها حينًا وتختفي أخرى، إلى أن عادت بشكل جديد في نهاية القرن التاسع عشر على يد بعض المفكّرين، والمثقّفين الذين نادوا باتّخاذ العامية لغةً رسميّة وأداة للتفاعل الجماهيري والتعبير الأدبيّ والثقافيّ، وإحلالها محلَّ العربية الفصحى كما حلّت الإيطاليّة محلّ اللاتينيّة". (Abdul Azeez, 1946) وقد يبدو جليًّا في الكتاب "البلاغة العصريّة واللغة العربية" أنّ المؤلّف برّر استعمال العامية إذ دعا إلى نبذ العربية الفصحى لها، فعاد يحمل لهدْم بنيان العربية الفصحى الشامخ مِعْوَلًا قد حملَه غيرُه من قبل فهبط وصارت حجّته داحضةً بلا جدوى، وستذهب دعوة سلامة موسى أيضا أباديد لا رجْع لها ولا صدى. وأيّة دعوة أقبح لتطوير اللغة من اطّراح العربية الفصحى واتّخاذ العامية لغةً فنيّة لجميع المجالات الكتابية والخطابيّة من شعر ونثر ووصيّة وخطبة ومقالة وهكذا؟ وما دامت العامية مستنبطةً ومنحوتةً من الفصحى فلِم نفضِّل الفرع على الأصل؟ ولِمْ لا تكون الفصحى أحقّ بالاستعمال مادام القرّاء يفهمونها؟ ونحن نرى في

عصرنا هذا أنّ كثيرين من الذين لا يدرسون العربية تحت نظام المدرسة يستمعون إلى نشر الأخبار ويفهمونها، ويُصْغون إلى الخطب الدينيّة ويستوعبونها بسرعة، ويستمعون إلى الأغاني الفصيحة ويحفظونها، حتى إنّ الغلمان الذين لم يتلقّنوا العلم عند معلّم يردّدون جُملا مما كتبتْ بالفصحى وهم لها فاهمون. وهذا نصّ دعوته إلى الأخذ بالعامية "يجب ألا يكون للمجتمع لغتان إحداهما كلاميّة أي عامية والأخرى مكتوبة أي فصحى، كما هي حالنا الآن في مصر وسائر الأقطار العربية، لأنّ نتيجة هذه الحال أنّ اللغة المكتوبة تنفصل من المجتمع، فتصبح كأنّها لغة الكهّان التي لا تتلى إلا في المعابد، وينقطع الاتّصال الفسيولوجيّ بينهما وبين المجتمع فلا يتطوّر. وبهذا يجب أن تكون غايتنا توحيد لغتَي الكلام والكتابة، فتأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع، ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدها". (ص 47)

تحقيق الفائدة الإيجابية من البلاغة: إنّ خدمة اللغة العربيّة؛ لغة القرآن من المقاصد التي ترتمي إليها البلاغة العربيّة. ومن هذا نقول إنّ البلاغة دينيّة النشأة قرآنيّة النشأة؛ تطوّرت وتنوّرت مسائلها في ساحة كتاب الله. وعلى هذا الأساس فالبلاغة علمٌ يتحقّق التطوير والتجديد، لئلّا تتخلّف عن ركب العلوم الحديثة، ويخلو طريقها من الصعاب والعقبات التي قد تمنع من بلوغ الغاية والتي هي إيجاد الذوق والجمال في الكلام. "والتجديد في ميدان البلاغة شغَّل حيزًا كبيرا من اهتمام علماء الأمّة. ومن الملاحظات الهامّة في استقراء مسيرة تجديد البلاغة أنّ الذين حمّلوا هذا اللواء مارسوا تدريس البلاغة وهي آراء جاءت إثر معاناة ونتيجة خبرة مما يجعلها جديرة بالنظر والاعتبار؛ بغيةَ الوقوف على مرجعيّتها وطبيعة الاتّجاه الذي تبنّتْه في تقديم أطروحاتها التجديديّة". (Uthman, 2015) وموقف سلامة موسى من البلاغة حتى تتحقّق فيها الفائدة الإيجابيّة هو ما

تكون غايتها " التفكير المنطقيّ السديد السالم من الخطأ، وتحريك الذكاء وتدريبه بالكلمات، وأن نعرف كيف نفكّر للتحريك الاجتماعيّ" (Salamat, 1964) ونظرته إلى البلاغة هي أن يكون "المنطق أساس البلاغة، وأن تكون مخاطبة العقل غايةَ المنشئ بدلًا من مخاطبة العواطف. البلاغة بفنونها المختلفة كما هي الآن في لغتنا العربية تخاطب العواطف دون العواطف وهذا ضرر عظيم" (ص 25)

الدعوة إلى إلغاء الإعراب: إنّ للإعراب علاقة متينة بالمعنى حيث تدلّ حركات الإعراب على معانٍ مختلفة، ولا سبيل إلى معرفة معنى كلّ كلمة إلا إذا اتّضح إعرابه وهو من الظواهر اللغوية التي تعتني بترتيب أجزاء الكلام في الجمل وربْط بعضها ببعض. وقد صوّر الجاحظ أهميّة الإعراب وخطورته في قوله: الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه هو المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجَع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسّه وإلا من غالط في الحقائق نفسه". (Aljurjany, 1995) ومن هذا الكلام ندرك أنّ سلامة موسى يرمي بموقفه هذا إلى استخفاف اللغة العربية بحيث يكون الطالب في حرية مطلقة في التعبير كما سوّلت له نفسه، فيرفع المفعول وينصب الفاعل بدون معرفة من القواعد التي توجّه تعبيره أو الضوابط التي يلمّ بدراستها. وهذا قوله: وليس على التلميذ من حرج أن يقرأ فيرفع المفعول وينصب الفاعل مادام يفهم ما يقرأ. أما في المدارس الثانويّة فنشرع في تعليم أقلّ ما يستطاع من قواعد النحو ولا نبالي بالإعراب الذي أثبت الاختبار أنّه لا فائدة منه بتاتا، والوقف في آخر الكلمات أي إسكانها هو الخطة السديدة التي يجب أن تتبّع" (ص 116)

تسويغ الكتابة بالخط اللاتيني: وهذا من الدعوات التي تستّرَ أصحابها خلفَ قناع تطوير اللغة العربية؛ زعمًا منهم أنّهم بذلك يبتغون إلى تسهيل العربيّة سبيلا. وهم لا يفطنون إلى أنّ هذه الفكرة تضييع للأوقات وإسراف للأموال؛ ما إن اجتمعت بلاد الولايات المتّحدة الأميريكيّة لتمويلها، لَيَنُوء كلّ بلد منها من تراكم الإنفاق في سبيل توظيف أبرع المترجمين وتوفير بعض المؤهّلات المطلوبة للقيام به. يرى سلامة موسى أنّ مما يدني بمصر وسائر العالم العربي إلى ساحة النهضة هو اتخاذها الخط اللاتيني وسيلة الكتابة بينها لأنّه مفتاح التمدّن ويجعلها من الأمم المتمدّنة في العالم. ولكن هناك في العالم بلاد يكتب أهلها بغير اللاتينيّة وهم في قمّة التمدّن وينعمون بعقليّة وذكاء متميّز. وهذا قوله: "وعندي أنّ بعض المميّزات لما يقترحه عبد العزيز فهمي باشا من اتّخاذ بعض الحروف اللاتينيّة في كتابتنا يعود إلى أنّ هذه الحروف تضمّنا إلى مجموعة الأمم المتمدّنة وتكسبنا عقليّة المتمدّنين (ص 117) وقوله أيضا: والواقع أنّ اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة إلى المستقبل لو أنّنا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركيا التي أغلق عليها هذا الخطّ أبوابَ ماضيها وفَتَح لها أبواب مستقبلها (ص 138)

تطوير نظام التعليم العربيّ للأطفال: من أهمّ مراحل حياة الإنسان هي مرحلة الطفولة حينما كان الطفل فارغَ البال؛ لا يهمّه شيء من شواغل الحياة، والسبب في هذا يرجع إلى أنّها هي الأكثر تأثيرًا في مستقبل الإنسان والأسرع محاكاةً لما حوله من العوامل، ومن أجل هذا "تهتمّ معظم دول العالم بالطفولة واتّخاذ الوسائل التي تُكفِّل لها النموّ المتكامل والاستقرار النفسيّ، وتمهّد لها طريق العلم والتربية السليمة المثمرة، وذلك لأنّ الطفل مستقبل كلّ أمّة. والأطفال يجب أن ينالوا الرعاية المتكاملة والإعداد السليم في السنوات الأولى من عمرهم حتى يتسنّى لهم القيام بدورهم في صنْع مستقبل بلدهم". (Nabiil,

1997) ولقد اهتدى سلامة موسى إلى الاقتراح بأن يكون نظام التعليم العربي للأطفال مشحونًا بما يعينهم على القراءة المجرّدة قراءةً صحيحة تشجّع وتنمّي فيهم روح العمل للمستقبل. وهذا قوله: ولا نحمّل الأطفال عبْء كلمات لا ينتفع بها في سنواته الأولى من العمر. اللغة هي الوسيلة لتحريك الذكاء في أبنائها ولتوجيه أخلاقهم بكلماتها التي تعبّر عن المعرفة أو العقيدة أو الحكمة. وعلى قدر ارتقاء اللغة ووفرة كلماتها ودقّة معانيها يكون الانتفاع بذكاء الأبناء. ويجب أن نقتصر من تعليم اللغة العربية في مدارسنا الابتدائيّة على تمكين التلميذ من المطالعة والفهم بلا حاجة إلى أيّة قواعد خاصّة بالنحو. يجب أن تكون هناك غاية أخلاقيّة في تعليم اللغة العربية للأطفال هي تعويدهم القراءة، وغاية أخرى هي تكوين شخصيّتهم بالمناقشة والخطابة. (ص 117)

تبسيط قواعد النحو: صعوبة تعلّم النحو في اللغة العربية حالةٌ يعانيها الكثير من الدارسين أو القرّاء على حدّ سواء، وهي ليست ظاهرة جديدة. "والنحاة العرب القدامى كانوا مشغولين بتأصيل النحو والتوسّع فيه باعتباره القوانين التي تكفّل سلامة اللغة وتحافظ على كيانها النظريّ سليما صحيحًا وفصيحا. وهذه القوانين كانت ولا تزال مصدر صعوبة كبيرة يعاني منها دارسو النحو. وتعاني كتب النحو القديمة من الطول المفرط الناشئ عن التكرار والاستطراد والحشو وجمود اللغة؛ لأنّ لغة الكثير من تلك الكتب يعيبها ما فيها من جفاف ومبالغة في التكثيف". (Ahad, 2018) وتلك الفجوة العميقة في تعلّم النحو العربيّ تجعل غالبيّةَ الطلاّب يحفظون قسطًا كبيرا من القواعد؛ مُتْقِنين معها إعراب الجمل، وعلى الرغم من ذلك يعانون من التمكّن في التعبير السليم والكتابة البريئة من الخطأ. وهذا ما جَعل سلامة موسى وغيره من روّاد النهضة العربية يدعون إلى تبسيط قواعد العربية التي هي الأكثر تعقيدًا ويجعلها الأكثر غرابةً

والأكثر نفورا عند الطلبة. وهذا قوله: وخيرٌ لنا أن نعرف قواعد النحو القليلة العدد الواضحة المعنى، من أن نعرف أضعافًا مضاعفة من القواعد التي يحتمل فيها التعقيد والالتباس، والتي تفسد التفكير وتعطّل الذكاء. كما فعلَ أوجدين؛ أحد علماء السيكولوجية، يجدر بنا نحن العرب أن ندرس لغتنا في ضوء السيكولوجيّة، حتى نجعل التعبير العربيّ أيضا كلمةً وجملة وسيلة للخدمة الاجتماعيّة والثقافيّة. أليس من المستطاع أن نختار نحو ألف كلمة من اللغة العربية بالوضوح والدقة والألفة فنؤلّف بها الكتب. بل أ ليس من المستطاع أن نكتب بعض المجلّات والجرائد بما نسمّيه "العربية الأساسيّة" لأفراد الشعب الذين لا يعرفون من لغتنا غير ألف كلمة. (ص 107)

توفير الكلمات الثقافيّة العصريّة: اللغة هي وسيلة التعبير عما يختلج في ضمير الإنسان ليتّصل بها مع الآخرين. وإذا فقدَ الشعب في أيّ مجتمع الكلماتِ الثقافية العصرية، يفقد ذلك المجتمع المعيشة العصريّة. والكلمات الثقافيّة العصريّة لا تلتبس ولا تختفي معانيها. وفي العصر الحالي يحتاج الإنسان إلى كلمات جديدة تلبّي حاجات العصر الجديد. وهذا قول سلامة موسى: ليست اللغة قدسا من الأقداس، وإنما هي أدوات تبلى فنستبدل بها غيرها، وهي أسلوب في التفكير يحتاج من وقت لآخَر إلى التمهيد والتنقيح والتغيير. ثم علينا ألّا ننسى أنّ اللغة إنتاج مثل سائر أنواع الإنتاج في الأمّة، فكما نحبّ أن نزيد إنتاجنا في أقمشة القطن، وكما نحبّ أن نجوّد في متانة هذه الأقمشة وجمالها، كذلك يجب أن ننتج كلّ عام بل كل يوم إنتاجًا لغويًّا يهيّئ لنا التعبير الصحيح والتفكير العلميّ هو أدقّ أنواع التفكير في أيّامنا (ص 135)

الخاتمة

الجهد المنصبّ في تطوير اللغة العربية عملٌ ثقافيّ وعطاء إنسانيّ ينتفع به عامّة البشريّة، وليس محتكرًا عند الشعب العربيّ أو المجتمع الإسلاميّ فحسبُ، لأنّ العربية تشمل جميع الحضارات الإنسانيّة. وتمسُّكًا بهذا القول، فتجديد اللغة العربية ضروريّة قصوى وحاجة ماسّة تتجدّد بتجدّد العصور والدهور، حتى تنتعش العربيّة وتزدهر لتواكب المتغيّرات وتلبّي حاجاتنا باختلاف جوانبها، وترتقي ارتقاءً لغويًّا وثقافيًّا.

هذا، وانتهت هذه الدراسة إلى بعض نتائج أهمّها:

1- إنّ سلامة موسى من الذين أدْلَوْا دلاءهم في تجديد اللغة العربية في القرن التاسع عشر الميلاديّ، لما رأى ما أصاب العربية من التأخّر اللغويّ والذي يؤدّي إلى التأخّر الاجتماعيّ في بلاد مصر خاصّة وفي العالم العربيّ عامّة.

2- تولّدت مواقف تجديد اللغة العربيّة عند سلامة موسى من عدّت أسباب؛ بعضها اكتسبها حين مكْثه بمصر، وآخَر حصل عليها عندما ألقى عصا الترحال والتجواب في بلاد الغرب، وهي مع اختلاف مواردها ترمي إلى هدْم الدين ونزْع روح الجمال والروعة من اللغة العربيّة.

3- التجديد الحقّ الذي نودّ ونرغب فيه في مسيرة اللغة العربية هو تجديدٌ يعتبر بالماضي ويدرسه دراسة متأنّية — دون القضاء عليه أو البعد منه تمامَ البعد- وصولًا إلى الجديد الذي يناسب العصر الحاضر الذي نعيش فيه.

التوصيات

1- يوصي الباحث مجمع اللغة العربية في جميع بلاد الأمة العربية أن يتّخذ منهجًا في تطوير اللغة العربية بشكل متواصل مع مرور العصور والدهور.

2- التجديد في النحو العربيّ بحيث يُطرح كلُّ ما فيه من جفافٍ ومبالغة تصدّ الطلّابَ من الفهم الصحيح لقواعده المتشابكة المتعقّدة التي تبدو نابية في أذهان الطلبة، وهم بكثرة تلك القواعد –مع ما تُملي عليهم الحياة العصرية من رغبات– غير قادرين على الإنشاء السليم شعرا كان أو نثرا.

3- لا ينبغي أن ننظر إلى تجديد اللغة العربية على أنّه محاولة لهدْم بناء الدين الشامخ أو هو منحى لتدنيس قدسيّة اللغة العربية بتعلّقها بالقرآن، فيؤدّي بنا الأمر إلى عدم العمل على تطويرها؛ مما قد يفتح الباب للذين لا يمتلكون المؤهّلات المطلوبة من علم ودين فيقترحون بخطأ فاحش يضلّ ويعطّل العقل.

المراجع والمصادر

-Abdul- Aziz Fahamiy, (1946) Teisirul- Kitabat Al-Arabiyyah, Al-Motbahatl-Amiiiyah, Cairo.

-Ahad Faadil, (2018) Limodha yuhaniy al-bahad suhubata tahallumi Nahwi fi Al-lugatil Arabiyyah, https://www.alarabiya.net/

-Aliy Abdur Razaq, (2017) Taharikh Allugat Al-Arabiyah: Tatowwur Allugat Al-Arabiyyah mundhu zuhuri Al-Islam fil asri Al-Hadith, https://www.syr-res.com/article

-Aliy, Muhammad Yasin, (2020) Amiin Al-khaoly (1895-1966) tajdiid al-Balaagy, http://cois.uokerbala.edu.iq/wp

-Aljurjaany, (1964) Abu Bakr Abdul-Qohir Bin Abdur-Rahman, Daru Al-kitabil- Arabiy, Beirut.

-Faaris,kamal Nozmi, (2005) Allugat al-bashariyyah baina fitriyyati jomisky wa binyawayyati Bayajiih, https://www.ahewar.org/debat

-Haasim, Al-Muhaariby, Allugatu Al-Muktasabat, https://www.alayam.com/Article

-Husein, Muhnis, (2018) Limodha nahataaju ila taharikh, https://islamstory.com/ar/artica

-Iman, Muhammad, (2019) asharu 10 muhallafaat li Salamat musa, https://www.almrsal.com/

-Khafajy, Muhammad Bin Abdul-Munhim, (1980) Al-hayatul adabiyyah fi asri Bani Umayyah, Darul- Kitabi Lubnany, Beirut.

-Khalif, Yusuf, (1982) Assuharohu Sohalik fil Asril Jahiliy, Daru Garib, Cairo.

-Mojid, Azat Ismail, (2014) Salamatu Musa fi dhaakirati Al-Ummati Al-Qibtiyyah, https://www.copts-united.com/Article

-Muhammad Mustafa Adarah, (1963) Ittijaahaatu shurohi Al-Arabiy fil Qarni Thani Al-ijry, Darul-Maharif, Cairo.

-Muhammad Sodiq At-tarhuuny, (2015) Ahamiyyatu Al-lugatil-Arabiyyah wa Ahamiyyatu ihiyahiha.

-Muhammad, Daud Yaktub, (2019) Ithrahu wa tanmiyatu Al-lugati Al-Arabiyyah, https://alwafd.news

-Mustafa Aashura, (n.d) Salamatu Musa fil Miisaani (fi dhikra wafatihi: 18 minal-Muharram, 1378), https://archive.islamonline.net/

-Nabiil, Sahd Khaliil, (1997) Dirasatun Muqaranatun li nizomi riyadi Al-Atfaali fi jumhuuriyyari Misro wal Momlakat Al-Muttahidah.

-Salamat, Musa, (1964) Al-Balagatul-Asriyah wa lugatul- Arabiyah, Darul-Muharrir Al-adabiy, Cairo.

-Salamat, Musa, (1974) Tarbiyatu Salamati Musa, Darul-Kitabi Al-Misriy, Egypt.

-Simau, Sohih, (2015) Rohidu Tanwir Al-Misriy fil Qorni Alhishrin: Salamatu Musa, http://arabicquestion.blogspot.com

-Uthman Ammar, (2015) Molaamihu Tajdiidu Al-Balagah fi kitabi AL-Balagatu Al-Arabiyah, Qirahatun ukhra li Muhammad Abdul Mutalib: Dirosatun tahliiliyah naqdiyah, Algeria.

-Wajabah Wahabah, Irfaan wam tinaan: Yahaqub Sarruuf, https://www.almasryalyoum.com/